المجلّة الدّوليّة للشّريعة والدّراسات الإسلاميّة
International Journal of Sharia and Islamic Studies
مجلّة علميّة – دوريّة – محكّمة – مصنّفة دوليّاً

الترتيل القرآني ودوره في حفظ الصوت العربي.

د. علوي عبد الرحيم الردادي
أستاذ مشارك بالجامعة الإسلامية، قسم القراءات ـ المملكة العربية السعودية.

تاريخ استـــلام البحـث: ٢٠٢٤/١١/١٨م

مستخلص البحث:

قد خصَّ الله تعالى هذه الأمة بإنزال كتابه باللسان العربي حيث تُعتبر اللغة العربية من أسمى اللغات على مر العصور، وما زادها عراقة هو كونها تُمثِّل لغة القرآن الكريم الذي وعد الله تعالى بحفظه.

جاء البحث الحالي بهدف توضيح مفهوم الترتيل القرآني في ظل علم الأصوات الحديث وعرض أقوال المفسرين حول دلالته ومعانيه، والكشف عن دور الترتيل القرآني في حفظ كل من القرآن الكريم واللغة العربية.

وقد تم اتباع المنهج الوصفي للوصول إلى النتائج من خلال استعراض أقرب الدراسات في مجال وموضوع البحث الحالي.

وقد خرج البحث بعدة نتائج أهمها أن الترتيل القرآني هو من أسس تحقيق التلاوة السليمة والتي من خلالها يحصل الفهم السليم، كما أنه عمل على حماية اللغة العربية من أن تضيع أو تندثر بين اللهجات المختلفة التي مرّت عبر العصور. كما أن الترتيل عمل على حفظ وضبط مخارج الحروف.

وقد أوصى الباحث أخيراً بضرورة الأخذ بالترتيل وضوابطه للبعد عن كافة عيوب النطق، ولاستمرار حفظ الحرف العربي من التشتت والضياع.

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى أربع مباحث، وتحت كل مبحث مطالب.

الكلمات المفتاحيّة:
الترتيل ـ القرآن الكريم ـ اللغة العربية ـ مخارج الحروف.

The recitation of the Quran and its role in preserving the Arabic sound.

Dr. Alawi Abdul Rahim Al-Raddadi
Associate Professor at the Islamic University- Readings section- KSA.
E-mail: alwiy1285@gmail.Com

تاريخ قبول نشر البحث: ٨ /٢٠٢٤/١٢م

ABSTRACT:

God Almighty has devoted this nation to his book in the Arabic language, as the Arabic language is considered one of the highest languages throughout the ages. The current research was made with the aim of clarifying the concept of Quranic recitation in the light of modern phonology and presenting the interpreters' statements about its significance and meanings and revealing the role of the recitation of the Quran in preserving both the Holy Quran and the Arabic language.

The descriptive approach was used to reach the results by reviewing the earliest studies in the field and subject of the current research. The research has come up with several results, the most important of which is that the Quranic recitation is one of the foundations of achieving proper recitation, through which proper understanding occurs, and it also worked to protect the Arabic language from being lost or lost between the different dialects that passed through the ages. Also, the recitation worked on preserving and controlling the letter exits.

Finally, the researcher recommended the necessity of introducing the sequence and its controls to avoid all speech defects, and to keep the Arabic letter from dispersion and loss.

This research has been divided into four sections, the first topic has three demands, and the second topic has two requirements.

KEY WORDS:
chanting, the Noble Qur'an, the Arabic language, letter exits.

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد...

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى نزل على رسولنا الكريم محمد ﷺ بواسطة الملك جبريل عليه السلام الذي تولَّى نقله للرسول الكريم كلاماً وليس عبر الكتابة، فمرجع التنزيل هو الله تعالى، والرسول ﷺ عُنيَ بحفظه وتبلغيه للصحابة وتفسيره وتوضيح معاني آياته. وقد أكَّد رسولنا الكريم محمد ﷺ على أهمية تلاوة القرآن الكريم.

كما روى ابن مسعود عن الرسول ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول لكم: آلم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» (١).

والقرآن الكريم كلامٌ معجَز؛ أي لا يستطيع أحدُ من البشر الإتيان بمثله، ومنقولٌ بالتواتر، بجميع القراءات المتواترة والمقصود بالتواتر كما عرفها ابن الجزري أنها: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها (٢).

وقد أمرنا الله تعالى بترتيل القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم باللسان العربي، حيث تُعتبر اللغة العربية من أسمى اللغات على مر العصور، وما زادها عراقة هو كونها تُمثِّل لغة القرآن الكريم الذي وعد الله تعالى بحفظه وحمايته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد أمر الله تعالى في كتابه بمجموعة من الأوامر التي تُشكِّل في مجموعها مبادئ أساسية في الدين الإسلامي، مثل الأمر بالصلاة، والأمر بالزكاة، والأمر بالتقوى، والأمر بالترتيل الذي يُعتبر موضوع البحث الحالي، حيث أمر الله تعالى بالترتيل في أولى الآيات التي نزل بها القرآن الكريم، ويُعتبر ذلك مؤشراً هاماً على ضرورة الحاجة إلى إحسان فهم وقراءة القرآن الكريم، فقد جاء الأمر من الله تعالى بترتيل القرآن الكريم، وهذا يعني وجود حكمة إلهية من وجوب هذا الأمر، والحاجة إلى إبراز دلالة ومكانة الآيات القرآنية، حيث أنَّ الالتزام بتنفيذ شرع الله في فهم آيات القرآن الكريم وسيلة للكشف عن العديد من أسراره المكنونة.

والبحث الحالي يسعى إلى توضيح الغاية من التبكير بالأمر الإلهي بترتيل آيات القرآن الكريم وتوضيح أثر الالتزام بترتيل القرآن الكريم باللغة العربية.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى توضيح مفهوم الترتيل القرآني في ظل علم الأصوات الحديث وعرض أقوال المتقدمين والمتأخرين حول دلالته ومعانيه والعلاقة بين ترتيل القرآن واللغة العربية.

الدراسات السابقة:

أهم الدراسات حول الموضوع على حسب علمي:

- **مفهوم التلاوة والترتيل والتدبر في القرآن الكريم:** لمنظور بن محمد بن محمد، منشور بمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ١٦ العدد ٣٠ تاريخ النشر :١٤٢٥هـ-٢٠٠٥ م.
- **قواعد التجويد وأثرها في المعاني والأحكام،** دراسة تحليلية نقدية للدكتور أحمد شرشال، القاهرة للنشر والتوزيع دار الحرمين. تاريخ النشر :١٤٢٨هـ-٢٠٠٨ م.
- **علم التجويد وأثره في تقويم اللسان وتصحيح النطق:** للدكتور أحمد محمد القضاة، محكم في مجلة الزرقاء للبحوث في جامعة الزرقاء بالأردن، تاريخ النشر :١٤٢١ه - ٢٠٠١م.
- **إبراز المعاني بالأداء القرآني:** للأستاذ الدكتور إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، دار الحضارة للنشر والتوزيع بالرياض، وهذه الدراسات في مجملها أتت على محاور هذا البحث بتحرير علمي كاف وواضح.

سنة النشر :١٤٢٣ه-٢٠٠٣ م.

مشكلة البحث:

لقد ازدادت تساؤلاتي حول الأمر الإلهي المبكر بدعوة الناس إلى ترتيل القرآن الكريم في بداية الدعوة، وفي التأكد من وجود حكمة إلهية وراء هذا الأمر المبكر والمرتبط بحفظ اللغة من التعرض للنقد والتحريف والتبديل، وهذا كان محفزاً أساسياً بالنسبة لي لأبحث في المعنى العميق والغاية من ترتيل القرآن الكريم.

والأمر الذي نزل من الله تعالى بترتيل القرآن في وقتٍ مبكِّرٍ من الدعوة. وعلى الرغم من تعدد وتنوع كتب التجويد التي هدفت إلى توضيح أحكام الترتيل، إلا أنَّ أبحاثاً قليلة بحثت في غاية الترتيل القرآني في حفظ القرآن الكريم واللغة العربية، وخاصة من خلال ربطها بمخارج حروف اللغة العربية، فأغلب الكتب في معاجم اللغة التي أشارت إلى الترتيل ربطت الترتيل بحاجة النفس إلى سماع الكلمات بصورة مزيَّنة وقريبة إلى القلب بحيث يكون أكثرُ تأثيراً في القلوب (٣).

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٩/١).

(٣) أبرز الكتب التي أشارت إلى الترتيل هو كتاب مفهوم الترتيل في القرآن النظرية والمنهج: للدكتور أحمد عبادي حيث سعى المؤلِّف من

ويسعى البحث الحالي إلى الإجابة عن الأسئلة التالية المُمثلة لمشكلة البحث الحالي:

١. ما الغاية من الترتيل ومقصده؟

٢. ما علاقة الترتيل القرآني بمخارج حروف اللغة العربية؟

٣. ما الحكمة الإلهية من تنزيل الأمر بترتيل القرآن الكريم في بداية الدعوة وأولى الآيات التي نزل بها القرآن الكريم؟

٤. ما دور اللغة والترتيل في حفظ القرآن؟

منهج البحث:

١. اعتمد البحث على المنهج الوصفي لتحقيق أهداف الدراسة.

٢. اقتصر نطاق البحث على مناقشة الترتيل القرآني والعلم الصوتي ومخارج وصفات اللغة العربية ودورها في حفظ القرآن.

٣. راعيت إسناد الأحاديث إلى رواتها والاستشهاد بالآيات القرآنية ذات العلاقة بالموضوع المتناول.

٥. عرَّفت بعض الأعلام التي تحتاج إلى التعريف.

خطة البحث:

ابتدأ البحث في مقدمة وضَّحتُ فيها هدف البحث، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث ومنهجه، وخطة البحث وحدوده.

المبحث الأول: الترتيل: وتحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التلاوة والقراءة، والمراد بالترتيل عند المتقدمين والمتأخرين.

المطلب الثاني: أهمية الترتيل.

المطلب الثالث: غاية الترتيل ومقصده.

المبحث الثاني: العلم الصوتي وأدواته: وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم العلم الصوتي.

المطلب الثاني: آلات النطق.

المبحث الثالث: مخارج وصفات اللغة العربية.

المبحث الرابع: دور اللغة العربية والترتيل في حفظ القرآن.

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

حدود البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي في الترتيل القرآني والعلم الصوتي ومخارج وصفات اللغة العربية ودور الترتيل واللغة في حفظ القرآن.

المبحث الأول:

الترتيل:

المطلب الأول: الفرق بين التلاوة والقراءة، والمراد بالترتيل عند المتقدمين والمتأخرين:

تعتبر ألفاظ القرآن الكريم ومفرداتها وتراكيبها المختلفة مؤشرات لمعاني يربط بعضها بعضاً، والبحث في معانيها يعتبر من الأمور المهمة والتي بها البركة والفضل العظيم، إذ أنَّ أولى الآيات التي أنزلها الله تعالى في كتابه الكريم تضمنت القراءة وهي المَلَكَة التي يقوم الفرد من خلالها في تفعيل ملكة الفهم والمعرفة.

وقد جعل الله تعالى في قراءة القرآن الكريم طريقاً لاتباعه والالتزام في أحكامه، فالإنسان من خلال القراءة يُدرك الأوامر التي يدعونا الله للالتزام بها والنواهي التي يأمرنا بالابتعاد عنها. أما التلاوة فقد تعددت التعريفات التي قُدِّمت لها، فبعض أهل التفسير عرَّفها بالقراءة، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]، وبعضهم عرَّفها بالاتباع، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢]، وآخرون فسروها بالعمل، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

كما أشار العديد من المفسرين الأولين أنّ التلاوة والقراءة تأتيان من أصل واحد فـ(تلا) بمعنى (قرأ)، لكن الأولى تقترن بصورة أساسية مع القرآن، والثانية مع الكلام، وقد تشير إلى مجموع الأمرين فلا تكون القراءة مغايرة للمتلو، وغالباً ما ترد لفظة (تلا) في القرآن الكريم بمعنى قرأ، إذ كانت أول آيات ربنا والتي نزلت على أفضل الخلق سيدنا محمد هي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وتم اعتبار القراءة أساساً للتدبر، وظهر ذلك جليًّا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقد اقترنت هذه القراءة بضرورة الاتباع، لذا جاء لفظ (تلا) بمعنى (تَبِعَ) والتي قد

خلال هذا الكتاب إلى بيان جهود السابقين وبيان مفهومهم، ومحاولة بيان المنهج وضرورة امتلاك أدوات الفهم ومفاتيحه وقدح جذوة الإبداع الخلّاق الموصول وليس المفصول، عبر تناوُل مفهوم مركزي في القرآن الكريم وهو مفهوم الترتيل.

وقد بين حجازي في كتابه (أثر القرآن الكريم في اللغة العربية) الذي توصل فيه إلى أنَّ القرآن الكريم نزل باللغة العربية البينة، وهذا يعني بأنَّ قراءته يجب أن تكون بينة كذلك من خلال الالتزام بترتيل الآيات ومنح حروف الكتاب حقها وتلاوة الكلمات بأحكامها كاملة من مدٍّ وإشباع وغيرها. وقد أكَّد حجازي في كتابه على أنَّ الغاية الأساسية من الترتيل هو تجميل الكلمات وجعلها قريبة من النفوس، بحيث تجذب سمع القارئ والمنصت. انظر: أثر القرآن في اللغة العربية، محمد حجازي، مجلد (٥٩/١).

أما العقرباوي في كتابه (المدخل لدراسات القرآن الكريم) تناول الترتيل وصرح مفاهيمه، ولم يحصر غاية الترتيل في التدبر، وإنما لفهم آيات القرآن الكريم واستشعار معانيه، وأشار إلى أنَّ في الترتيل إظهار للتوقير والاحترام لكلام الله عز وجل وبالتالي شدة تأثير معانيه في القلب. انظر: المرشد في علم التجويد، زيدان العقرباوي (٤٧/١).

تعني الاتباع بالجسد أو الاقتداء والامتثال لحكمها مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢]، وتعني الاتباع بغرض الاقتداء، كما قد تعني تدبر المعنى والعمل بموجبه مثل قوله تعالى: ﴿وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾ [هود: ١٧][٤].

ومن الآيات التي أشارت إلى معنى لفظة التلاوة بمعنى الاتباع هي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، فتعتبر لفظة التلاوة أعم من القراءة، إذ أنها تشمل القراءة والاتباع، فمن المعروف قول: (تلوت القرآن تلاوة؛ أي قرأته) [٥]، كما أن كل تلاوة قراءة، وليست كل قراءة تلاوة.

وردت لفظ كلمة (التلاوة) في عديد من الآيات بمعنى (التأمل والاعتبار والنظر)، وظهر ذلك بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ليكون محل التطبيق والتدبر والامتثال.

كما فسّر أحد المفسرين التلاوة بالقراءة والاتباع بقوله تعالى: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، وأضاف الرازي أن التلاوة في هذه الآية تعني القراءة والاتباع [٦].

من أجمل الأقوال لغزالي أن ترتيل القرآن لا يكون إلا باشتراك العقل والقلب واللسان، فالحرص على تصحيح الحروف من حفظ اللسان، والحرص على تدبر وتفسير المعاني من حفظ العقل، والاتعاظ والتأثر من حفظ القلب [٧].

مما سبق يمكن استنتاج أن عديداً من المفسرين واللغويين يرون أن التلاوة والقراءة كلفظين مرادفان مع وجود فرق يسير، وهو أنه لاعتبار لفظة القراءة بمعنى التلاوة يجب أن يتوفّر بها ثلاثة أمور، وهي: اللفظ الصحيح المنقول إلينا بالتواتر، وفهم وتحليل المعاني بالعقل، إضافةً إلى الاتعاظ والأخذ بما ورد به من أوامر وتجنب نواهيه من خلال امتثال معانيه بالقلب.

أما فيما يخص لفظة (الترتيل) - وهي أساس بحثنا الحالي - فتأتي في معاجم اللغة من الأصل (رَ تَ لَ) أي نسّق الأمر، وقيل: رتّلت الكلام ترتيلاً، وتعني حُسن وصحّة التأليف بتمهل، كما قيل: يترتّل في قوله؛ أي يترسّل به ويُفصح ويُفصِّل [٨].

أما الترتيل في القرآن فهي بمعنى الاسترسال بقراءته، فقد فسّر التابعون فظة الترتيل بقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] إلى أربعة معان رئيسة:

أولاً: تتعلق بطريقة قراءة القرآن من حيث السرعة أو التمهل، ويظهر ذلك بقول مجاهد: (ترسَّل به ترسُّلاً) [٩].

ثانياً: جاءت بمعنى توضيح المعاني وبيانها لتأكيد فهمها، وظهر ذلك في قول الحسن: (اقرأه قراءة، بيّنه تبياناً) [١٠].

ثالثاً: جاءت من مفهوم التأثير والتأثر، وظهر جليًّا هذا المعنى بقول الحسن: مر رجل من أصحاب النبي ﷺ على رجل يقرأ آية ويبكي ويرددها، فقال: ألم تسمعوا إلى قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، فالبكاء هنا هو من آثار الترتيل للقرآن والتأثر بآياته [١١].

رابعاً: بمعنى تطبيق أحكام التجويد من مد وقصر وغيرها، وظهر ذلك بقول عطاء: الترتيل:(بمعنى المد) فنظراً لأن المد هو من لوازم الترتيل، فهذا التعريف هو بصفة اللازم.

وقال الجرجاني في تعريف الترتيل: (بأنه الحرص على مخارج الحروف وأماكن الوقف، كما قيل بأنه خفض للصوت وإظهار لمشاعر الحزن أثناء القراءة) [١٢].

وقال الراغب أن الترتيل هو من قول الكلم ليتمكن المتلقي من فهمها بسهولة ويسر، فهو التبيين والإيضاح للكلام بدون بغي، إضافة إلى اعتبار كلمة رَتِل بمعنى بارد بقول (ماء رَتِل) [١٣].

إضافةً إلى التعريفات السابقة فقد كان للتابعين والصحابة الجهد البارز في إيضاح معنى كلمة (ترتيل).

وتم تعريف الترتيل لدى المفسرين القدامى بأنه تبيان لمعاني ومفردات القرآن، وتفسير لمفرداته، والقراءة المنتظمة المتوالية [١٤].

وقراءة القرآن قراءته على مهل مع تدبر وفهم لمعانيه بلا تعجل. والترتيل هو من أسس تحقيق التلاوة السليمة والتي من خلالها يحصل الفهم السليم، ويظهر ذلك بقول أنس :أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ عن أنس :أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :كانت مدًا، ثم قرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم [١٥].

كما تم اعتبار الترتيل أحد أقسام التلاوة عند علماء السلف والتي تم الإشارة إلى معناها من قبلهم بأنها القراءة الواعية والمتفهمة لآيات القرآن باطمئنان وعلى مهل مع

(١) تفسير الطبري المجلد (٩٧/١) ولسان العرب، ابن منظور، المجلد (١٠٣/١٤).
(٢) لسان العرب، ابن منظور، المجلد (١٠٤/١٤).
(١) مفاتيح القيب للرازي (٣٠/٤)
(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢٨٧/١).
(٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب ومراجعة: داوود سلوم، وداوود سليمان العبنكي، وإنعام داوود سلوم، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، مادة) (رتل) ٢٠٠٤م.)
(٤) جامع البيان للطبري (٥٦٧/٢).
(٥) جامع البيان للطبري (٥٦٧/٢).
(١) الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد الثعلبي (٥٩/١٠).
(١١)التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب (١٩٨٧م) (ص٨٢، ٨٣).
(١٢)المفردات للراغب (٩٧/١).
(١٣)تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، مادة (رتل).
(١٤)صحيح البخاري.
(١٥)تفسير ابن كثير، فضائل القرآن، الحافظ أبو الفداء إسماعيل (٤٣٤/٤).

المحافظة على ترتيب وتناسق الكلام [١٦].

فالترتيل هو الإفصاح والإبانة والترسل وعدم الاستعجال في تلاوة آيات القرآن الكريم، وإعطاء كل حرف حقه في النطق لتحقيق مقاصده الأساسية من فهم سليم والأخذ بمعانيه، والذي ليس من الممكن أن يتحقق إلا من خلال تطبيق علم القراءات والتجويد بأحكامه وقواعده المختلفة.

المطلب الثاني: أهمية الترتيل:

يعتبر ترتيل آيات القرآن الكريم أحد أفضل الطاعات التي يتقرب بها الفرد إلى ربّه، كما أنّ ترتيل آيات القرآن يعتبر شفيعاً لأصحابه، ولكي يحظى المسلم بكامل الأجر المصاحب لقارئ القرآن من انشراح الصدر وقرة العين وغيرها، فإن ذلك لا يكون إلا بترتيل آياته بالصفة التي أمر بها الله ورسوله، وهي القراءة التي يتحقق بها جودة الترتيل وحسن الصوت وصحة الأداء.

كما أنّ ترتيل الآيات بأسلوب حسن قد يكون جاذب، وسبيل هداية للأسماع النافرة، وسبب لميل القلوب اللاهية عن ذكره. كما كان لترتيل الآيات الدور البارز في دخول عدد ليس بالقليل من الناس بالإسلام، إذ أنها كانت وسيلة لتأكيد إعجاز مصدره، فالتلاوة المرتلة تساعد على التدبر والتفهم لمعاني وآيات القرآن.

يمكن إبراز أهمية الترتيل بأهمية غاياته والتي يمكن إجمالها بثلاثة أمور وهي:

أولاً: اعتباره أحد الوسائل الضرورية لصون اللسان عن اللحن في لفظ مفردات وآيات القرآن الكريم أثناء أداءه.

ثانياً: اعتباره أحد الوسائل المفيدة في تدبُّر معاني آيات القرآن الحكيم والبحث في مقاصده وغاياته.

ولا يمكن تحقيق الغايتين السابقتين إلا بضمان تحسين لفظة ونطق آيات القرآن الكريم، فإن ورودها في أحسن صوت ونطقها بأحسن طريقة ما هو إلا خطوة لضمان وصولها للقلب وولوجها للنفس بشكل أسرع وأبلغ للمتلقي، وبالتالي ضمان رغبة المتلقي لامتثال ما ورد به من أوامر وتجنب ما نهى عنه، والتصديق بكل ما ورد به والرهبة من موجبات غضبه وعصيانه والكشف عمّا حُرّم وما تم تحليله، وهي من أهم النعم؛ لذا وجب الإنصات وتدبر آيات القرآن في الصلاة وغيرها من العبادات.

ثالثاً: اعتباره أحد الوسائل الضرورية لتدريب اللسان على النطق باللغة العربية الفصحى، وفيه إحياء للغة الضاد، وتقويم لاعوجاج اللسان وصونه عن اللحن في كلام الله، فكثير من علوم القراءات والتجويد ما هي إلا مباحث في علم اللغة من المد والإطالة وهمزتي الوصل والقطع والتي لا يمكن العمل بها أو فهمها إلا عن طريق علم اللغة كالنحو والصرف.

ويمكن إجمال أهمية الترتيل بالثلاثة الأمور السابقة، والتي كانت محل اهتمام المفسرين والعلماء، إضافةً إلى كثرة ترتيل آيات الله من شأنها أن تجعل الفرد قادر على التخلق بما ورد في القرآن الكريم من مكارم الأخلاق.

المطلب الثالث: غاية الترتيل ومقصده:

لقد اصطفى الله عزَّ وجل جماعة من الناس من أجل حفظ الأمانة التي أنزلها الله تعالى عليهم وإيصالها للأمم التي تليهم وتمكينهم من تحقيق المنفعة منها، وهذا يعني أنهم حملوا أمانة نقل كلمات وحروف القرآن الكريم دون تغيير حرفٍ واحد، ودون إهمال حركة أو سكون أو إضافةِ أي منها.

وقد تم الاعتماد في نقل القرآن الكريم بشكل أساسي على حفظ آياته في الصدور والصحف وقد قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، حيث إن في ذلك دلالة على تحرّي الصحابة والتابعين الدقة والحذر في نقل آيات القرآن الكريم والالتزام بنقلها حرفياً دون تحريف أو تبديل أو تغيير حتى حرفٍ واحد.

وعند التأمل بالآية الكريمة السابقة يُمكن استنتاج أنَّ القرآن الكريم رسالة بعثها الله إلى الناس أجمعين ومحفوظ إلى قيام الترتيل أمر من الله تعالى يُمكن من خلالها استشعار القوة والعظمة الموجودة في الآيات الكريمة، لذلك أمر الله تعالى في ترتيل آيات القرآن الكريم وضرورة الدقة في نقل آياته من لسان إلى لسان، وهذا لا يكون إلا من خلال أفرادٍ يُدركون معاني آياته ويأخذونه بالشكل الصحيح من مصدره الأصلي ويقرؤونه بتدبرٍ وخشوع من أجل إدراك معانيه وأحكامه المختلفة [١٧].

ورسولنا الكريم ﷺ علَّم صحابتنا الكرام أحكام قراءة القرآن الكريم، فقد أشار ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرئهم العشر ولا يتجاوزها إلى عشرٍ أخرى حتى يتعلموها ويُتقنوا ما فيها من علم، وكان النبي ﷺ يطلب من الصحابة أن يتلوا ما علَّمهم حتى يتأكد من حفظهم السليم والصحيح للآيات [١٨].

وقد اختلف الصحابة في طريقة أخذهم عن الرسول الكريم ﷺ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه بحرفين، ويتضح من خلال ذلك تعدد القراءات،

---

(١) المنح الإلهية في شرح مقدمة الجزرية، هانئ بن محمد القاضي أبو عبد الرحمن (ص٢٢).

(٢) روى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشرٍ أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فإذا ما علمهم القرآن فأتقنوا تلاوته أحب أن يسمع منهم؛ توثيقاً لما سمعوه منه جامع البيان في تفسير القران للطبري (٨٠/١).

وعلى الرغم من أنَّ القرآن الكريم كان غير منقوطاً، إلا أنَّ قراءاته كانت متعددة ومنتشرة، حيث كانوا يتلون الآيات بحسب ما يسمعون وليس بحسب ما يقرؤون.

وأنه من الضروري أن يتعلَّم كل مسلم أحكام تلاوة القرآن الكريم وطريقة أدائه، وهذا يحتاج إلى بذل الجهد والتعلم على يد القُرَّاء البارعين الذين يُتقنون تلاوة الآيات القرآنية ويُتقنون تأدية أحكامه حتى يُصلحوا للمتعلم الأخطاء التي قد يقع فيها ويُوجهونه نحو أسس وأساليب التلاوة السليمة [١٩].

وقد امتلك الصحابة رضوان الله عليهم القدرة على تأدية القرآن بالشكل الصحيح كما سمعوه من الرسول الكريم ﷺ، وذلك لأنَّ القرآن الكريم نزل بلغتهم، إضافةً إلى امتلاكهم الفصاحة والبلاغة والطلاقة في الحديث، فهم يفوقوننا في العلم والاجتهاد وفصاحة الأداء، إضافةً إلى تأثير اختلاف الثقافات واللغات بين الشعوب ومختلف الدول على مستوى الفصاحة وطريقة لفظ مخارج الحروف.

وهذا يؤكد على ضرورة أن يتعلم الأفراد على يد قارئين بارعين وعارفين بمختلف أحكام التلاوة، فقد توفرت أساليب متعددة للقراءة، وجاء القرآن الكريم يُراعي مختلف مستويات الفهم لدى الأفراد، وقد يسَّر الله تعالى قراءة القرآن وحفظه على من أراد ذلك من عباده.

والله تعالى تكفَّل بحفظ القرآن الكريم لغاية يوم القيامة وأورثه لمن اصطفاه من عباده، حيث قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، وحملة القرآن هم أهل الله وخاصته وأوليائه وهم ورثة أنبيائه [٢٠].

وكما هو معلوم أن كل آية من آيات كتاب الله لها دلالة محدَّدة لا يُمكن أن تتعارض مع غيرها، ويُقدِّم لنا الإعجاز بصورة من الصعب التعبير عنها، ولا يُمكن أن نكتشف دلالة معانيه إلا بقراءته المتدبرة وتلاوة آياته وترتيلها ترتيلاً.

وقد فسَّر الفخر الرازي كلمة (الترتيل) بأنها التمهل في قراءة القرآن والإحسان فيها حتى يتمكن الفرد من التفكر في حقائق الله تعالى وتعزيز معرفة الإنسان فيها [٢١].

ومن خلال ما سبق يُفهم بأنَّ الغاية الأساسية من ترتيل آيات الله هي تعزيز الفهم والمعرفة لدى الإنسان حتى يتسنى للمرء فهم المراد من معاني الآيات، ويكون ذلك عبر إتقان مخارج الحروف ومنح كل حرف الصفة التي يحمل، حيث إن كل حرف من الحروف يمتاز عن غيره في سماته وصفته.

قد قال ابن الجزري توفي سنة (٨٣٣) هـ في ذلك: (أول ما يجب على مريد إتقان قراءة القرآن، تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه المختص صحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفيته كل حرف صفته المعروفة به توفية تُخرجه عن مجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقته، فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته لا يمتاز عنه إلا بالمخرج) [٢٢].

وهذا يعني بأنَّ إتقان ترتيل الآيات لا يكون إلا من خلال تفكيك حروف كلمات القرآن الكريم وقراءة الكلمات بتفكيك حروفها مع التركيز على مخارج الحروف.

وأضاف ابن الجزري بأنَّ الترتيل الصحيح يتطلب من القارئ إعطاء الحروف حقها وتركيبها بصورة سليمة، بحيث تكون الحروف متجانسة فيتم ترقيق ما يحتاج إلى ترقيق، وتفخيم ما يحتاج إلى تفخيم، فالأداء السليم يكون من خلال المعرفة السليمة بتوصيل الحروف مع بعضها [٢٣].

ومما سبق يُلاحظ بأنَّ الترتيل هو عبارة عن نشاط صوتي يتكون من تتالي الأصوات وتركيب الحروف وإحسان نطقها بحسب مخارجها وصفاتها.

---

(٣) المنح الإلهية في شرح مقدمة الجزرية، هانئ بن محمد القاضي أبو عبد الرحمن (ص٢٣).

(١) وقد وصف الإمام علي أبلغ وصف، حيث روى الإمام الترمذي عن الإمام علي رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ قوله: «إنها ستكون فتنة»، قيل: فما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته عن أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ [الجن: ١، ٢]، من قال به صَدَقَ، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم». انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين البرهان فوري (ص١٧٥، ١٧٦).

(٢) يقول الفخر الرازي في تفسيره (الترتيل) في كتاب الله تعالى: (إنه تأكيد في إيجاب الأمر به، وإنه مما لا بد منه للقارئ، ورتلت الكلام ترتيلاً؛ أي تمهلت فيه وأحسنت تأليفه). ويقول أيضاً: (واعلم أنه لما أمر بصلاة الليل أمره بترتيل القرآن، حتى يتمكن الخاطر من التأمل في حقائق تلك الآيات ودقائقها، فظهر أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب وكمال المعرفة). انظر: مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله الرازي (٦٩/١٤).

(١) النشر في القراءات العشر، الحافظ ابن محمد الدمشقي (الشهير بابن الجزري) (ص٢١٤، ١٢٥).

(٢) قال ابن الجزري: (فإذا أحكم القارئ النطق بكل حرف على حدته، موفياً حقه، فليعمل نفسه بأحكامه حالة التركيب؛ لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد، وذاك ظاهر، فكم ممن يُحسن الحروف مفردة لا يُحسنها مركبة بحسب ما يُجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ولا يغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن أحكم صحة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب). انظر: النشر في القراءات العشر (ص٢٥١).

المبحث الثاني:

العلم الصوتي وأدواته:

المطلب الأول: مفهوم العلم الصوتي:

كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النحو ولم يكن يعرف كعلم مستقل، واستفاد منه بعد ذلك أهل الأداء والمقرئون في كيفية إخراج الحروف وكيفية نطق الكلمة.

ويُمكن تعريف الصوت (بأنه اضطراب في الهواء ناتج عن اختلاف مستويات الضغط المتحرك من مصدر خارجي، بحيث يضعف تأثيره لغاية زواله نهائياً) (٢٤).

كما يُعرَّف (بأنه ظاهرة تحدث بسرعة كبيرة ناتج عن تموُّج الهواء في نقطة معينه) (٢٥).

والمصدر الرئيسي للصوت هو الحنجرة الناتج عن الزفير الخارج من الرئتين والذي يُحدث تخلخلاً في طبقات الهواء الخارجي، فعلى الرغم من أنَّ الهواء لا يُرى بالعين، إلا أنه يستقبل الموجات الصوتية ويُحوّلها إلى أمواج صوتية مسموعة عبر الأذن. وتختلف اللغات عن بعضها في النظام الصوتي الخاص فيها.

ويهتم علم الصوتيات في مضمونه بتحليل الصوت الصادر من الإنسان بغرض التخاطب والفهم ونقل المعلومة.

ويرتبط علم الصوتيات ارتباطاً وثقياً بعلم التجويد من أجل إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة وكيفية نطق تلك الحروف، كما يسهل قراءة القرآن بطريقة صحيحة.

المطلب الثاني: آلات النطق:

تنطلق هذه الأصوات من جهاز يُطلق عليه (آلة النطق)، وهذه الآلة بها أعضاء يُطلق عليها (أعضاء آلة النطق) التي تنقسم بحسب وظيفتها الصوتية إلى ما يلي (٢٦):

١. الأعضاء التي تقوم بوظيفة إحداث الصوت وتغيير درجات شدة الصوت - في الارتفاع والانخفاض-وهي تنقسم إلى ثلاث أقسام، هي:

أ. مجرى النفس من أعلى القصبة الهوائية والذي ينتهي بالشفتين، بحيث يتم تخزين الهواء في الرئتين.

ب. الحنجرة التي تضم في داخلها الحبال الصوتية.

٢. الأعضاء المتخصصة في التمييز بين الأصوات والتي تُسمى بـ(هوية الصوت)، وتتألف من:

أ. الجوف الحلقي.

ب. الحنكان والبلعوم.

ج. اللوزتان.

د. سقف الفم.

هـ. الجيوب الأنفية.

و. الأسنان.

٣. الأعضاء المتخصصة في التجويد وتحسين مخارج الحروف، وتتألف من:

أ. عضلات البلعوم والفكين.

ب. المنطقة الواصلة بين الفم والحلق التي تُعرف بـ(اللهاة).

ج. عضلة اللسان.

د. الأسنان.

هـ. التجويف الأنفي الذي يُسمى (الخيشوم).

و. الشفاه والعضلات المرتبطة بها.

وبصورة مختصرة يُمكن تحديد الآلية التي يتم فيها النطق عند الإنسان وإخراج الأصوات بالنقاط التالية:

١. خروج الفم نحو الهواء والأنف.

٢. وصول الهواء إلى منطقة الرغامي وهي فتحة ضيقة متطاولة، تعترض الجوف عند الحنجرة.

٣. يمر الهواء في الحبال الصوتية.

٤. في لحظة المرور ويعمل الهواء على اهتزاز الحبال الصوتية وإصدار الصوت، بحيث يختلف الصوت من شخص لآخر.

٥. تنبعث الموجات الصوتية عبر الحبال الصوتية متخذة مساراً دائرياً وتمر في الأعضاء الخاصة في التمييز بين الأصوات.

٦. يخرج الصوت على صورة موجات صوتية بحيث تختلف شدة الصوت وحجمه من شخص لآخر، ومن ذكر لأنثى، ومن كبير لصغير (٢٧).

وحسن نطق الحروف وتجويدها يحدث إذا تم استخدام أدوات التجويد بالطريقة المناسبة، مع ملاحظة أنَّ حسن النطق لا يكون من خلال تشديد غلاظة الصوت أو زيادة مستوى قوة الصوت، وإنما يكون من خلال منح الحروف صفاتها باتخاذ أوضاع اللسان والشفاه السليمة بحيث يتم منح الحروف حقها وصفاتها الحقيقية، وبالتالي القيام بتفخيم الحروف أو ترقيقها بحسب الحاجة.

وهذا يعني بأنَّه يُمكن اعتبار الترتيل القرآني علم صوتي يرتكز على آلية النطق والاستخدام المناسب لمختلف أعضاءه وأجهزته.

المبحث الثالث:

مخارج وصفات اللغة العربية:

قد تم حفظ طريقة لفظ القرآن بحروفه لفظ كل حرف، سواء أكان منفرد وفي حال اقترانه بالحرف اللاحق، ومخارج الحروف عند نطقها كما أوضحنا سابقاً، ولكن ما

---

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس (ص٦).

(٢) أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن سينا (ص١٥).

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، سلسلة علوم القراءات (٥)، غانم قدوري الحمد (ص٩٥).

(٢٧) أكَّد رجال العلم أن كل شخص له بصمة صوت مثل بصمة الأصبع، واختلاف شدة الصوت ناتج عن طول وسماكة الحبال الصوتية، فالصوت الرفيع لدى الأطفال ناتج عن قصر الحبال الصوتية ورفعهما، وبتقدم الإنسان في العمر تنمو الحبال الصوتية وتزداد غلاظتها، وبالتالي يتغير الصوت. وهذا ينطبق على الحبال الصوتية لدى النساء التي تكون أقصر وأشد توتراً من الرجال، لذلك تكون درجة علوّ صوت النساء أكثر من الرجال. انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد (ص٩٦-١٠٦).

تجدر الإشارة له هنا هو ضرورة دراسة صفات الحروف العربية والتي تمكن القارئ من تمييز المخرج الحسن والمكروه للحرف وضبطه، ففي حال ضبط المخرج فإن صفات الحرف تعتدل والعكس صحيح، وبالتالي ترتيل وقراءة الآيات القرآنية تعتدل.

إذ أعطانا الله ميزة توفر مخارج تناسب صوت الحرف المنطوق، وعدم ضبط مخرج الحرف السليم هو الأساس في خلل فصاحة الحرف العربي.

ففي حال النظر إلى حروف اللغة العربية من حيث شدة اللفظ أو رخاوته أو حتى من حيث جريان الصوت أو انقطاعه بثلاث مجموعات رئيسية ألا وهي:

أولاً: أحرف ينقفل بها المخرج إنقفالاً كلياً ولا يجري بها الصوت بتاتاً وهي ما تُعرف بحروف (الشدة) والتي تم تحديدها من علماء اللغة بلفظة (أجد قط بكت)، وأكثرها إنقفالاً حرف الطاء ثم القاف حتى بقية الحروف [٢٨].

ثانياً: الحروف ما بين الشديدة والرخوة أو ما يُعرف بالحروف المتوسطة، وهي تلك الحروف التي لا ينحبس فيها الصوت بشكل كلي كما في الحروف الشديدة ولا يجري كما في الرخوة، والتي تم حدها من قبل علماء اللغة بلفظة (لِن عُمر).

ثالثاً: الحروف الرّخوة (بكسر وتشديد الراء) وهي ما يجري فيها الصوت جريان تام بلا أي انقطاع أو حبس، وتشمل هذه المجموعة كافة حروف اللغة ما عدا حروف الشدة والحروف المتوسطة وبإجمالي ثمانية عشر حرفاً [٢٩].

وقد تم تصنيف الحروف إلى هذه الأقسام الثلاثة بالنظر إلى درجة إعاقة الهواء في نطق كل حرف أثناء القراءة.

ولكن في حال النظر إلى حروف اللغة من حيث جريان النفس من انقطاعه عند نطق الحرف وتصنيفها إلى حروف لا يجري النفس عند نطقها أو ما يُعرف بالأحرف المجهورة (أحرف الجهر)، وهي تلك الحروف التي يهتز عند نطقها الحبلان الصوتيان بشكل قوي، وهي كافة الحروف ماعدا حروف الهمس والتي تمثل القسم الثاني لتصنيف الحروف وفق جريان النفس والتي تم إجمالها بقول (مهمُوسُها فحثَّهُ شخص سكت). ومنها فإن الحروف المهموسة هي ما يهتز الحبلان الصوتيان يهتزان بصورة ضعيفة وإجمالي عدد حروفها

عشرة كما تمثل في العبارة السابقة التي تجمع الحروف المهموسة.

ومن الجدير ذكره هنا وجود علاقة بين الجهر وقوة الاعتماد ومستوى الهواء الموظف لنطق الحرف، فالعلاقة بين الاعتماد والجهر طردية، إذ كلما زاد الاعتماد زاد الجهر وفي المقابل قلّت كمية الهواء التي تخرج مع نطق الحرف.

الحرف المجهور يمتاز بقوة الصوت وقلة الهواء الخارج مع لفظه، وبالتالي الجهر بالحروف الشديدة وفق التصنيف السابق أقوى من الجهر في الحروف الرخوة، وفي المقابل كمية الهواء الخارجة في لفظة الحروف الشديدة أقل من الكمية المستخدمة في نطق الحروف الرخوة المجهورة [٣٠].

وكلما زاد همس الحرف زاد مستوى الهواء الخارج في نطق الحرف وفقاً لقلة الإعاقة والعكس صحيح، إذ أن الحروف المهموسة هوائها كثير لا يتكيف كافته في درجة الصوت.

وكافة الحروف المهموسة تنطق بصفة الهمس بصورة طبيعية لدى الناطقين باللغة العربية ما عدا حرفي الكاف والتاء واللذين يحتاجان إلى تدريب سواء أكان نطقهما في حال السكون أو التحريك [٣١].

ولو نظرنا إلى حروف الشدة (أَجدُ قطِ بكت) لوجدنا توفر كافة حروف القلقلة ضمن هذه الحروف والتي تتمثل بـ(قطبُ جَدٍ) ويستثنى منها (الهمزة والكاف والتاء). وعند النظر إلى هذه الحروف فسنجد أن حرفي الكاف والتاء تتفرد بهما صفتي الشدة والهمس في آن واحد خاصة في حالة السكون.

وتعتبر الهمزة أحد أبرز أحرف الشدة والجهر، ففي حال لفظها سكوناً تم تعريفها بأنها وقفة حنجرية نظراً لانغلاق الحبلان الصوتيان بصورة تامة لحظة نطقها، حيث إنها لا تستلزم قلقلة كما في سائر الحروف المجهورة والشديدة، وتم تبرير ذلك بشدة انضغاط وضيق مخرجها، فعند نطقها ينغلق الحبلان الصوتيان بصورة تامة وينحبس الهواء خلفها بقوة. وعرفت لدى الخليل بن أحمد بالصوت المهتوت والتي تعني الصوت الشديد أو الصوت الجرسيي .

قد اختلف علماء الصوت المحدثين في وصف الهمزة والتعبير عنها، فمنهم من اعتبرها صوت مهموس، ومنهم من قال بأنها صوت لا مجهور ولا مهموس، وقد تم وصفها من قبل عبد الصبور شاهين بأنها (صوت انفجاري غير مجهور) [٣٢].

أما سائر الحروف المتبقية المجهورة والشديدة والتي تمثلت بلفظة (قطب جد) جسّدت ما يعرف بحروف القلقلة وهي بمعنى حروف الاضطراب والحركة [٣٣].

(١) البيان المفيد في علم التجويد، أماني محمد عاشور (ص١٢٤).
(٢) البيان المفيد في علم التجويد، أماني محمد عاشور (ص١٢٤).
(١) سراج الباحثين عن منتهى الإتقان في تجويد القرآن، كوثر الخولي (٤٨٥/١).
(٢) الروضة الندية في شرح الجزرية لمحمود بن محمد بن عبد المنعم (ص٢٩).
(٣) أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين (ص٢٣).
(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، مادة (قلقل).

ومن الواجب التمييز بين القلقلة وتحريك الحرف عند ذكر القلقلة، فالحرف المقلقل كسائر حروف اللغة قد يأتي ساكناً أو مُتحرّكاً، لكن ما يميزه هو أن الحرف المقلقل ماسك في المخرج بينما المتحرك متباعد عن المخرج.

كما أننا نلحظ عند تحريك الحرف بأنه يتبع أصل الحركة من حيث بعده عن مخرج الجوف، فعلى سبيل المثال يتبع الحرف تباعد الألف في حال كان متحركاً بالفتح، أو إلى الياء في حال كان متحركاً إلى الكسر، أو إلى الواو في حال كان مضموماً، أما في حال السكون فيبقى الحرف ثابتاً من حيث المخرج مهما اختل طرفاه (كحروف القلقلة) أو انفرجاً (كما في حرفي الكاف والتاء الساكنتين) وهو ما يميز القلقلة عن التحريك [٣٤].

ومما سبق تجدر الإشارة إلى أن كل مفردة في كلمات القرآن هي لإيصال معنى أو غاية محددة ولكل مفردة بنيان حرفي (يتمثل بمخارج الحروف السليم) ومن دلالات حفظ الله لكتابه الكريم هي قيام العديد من علماء اللغة والتجويد بدراسة وتتبع حروف اللغة العربية الفصحى ودراستها وتدوينها حرفاً حرفاً مع تفصيل مخارجها، ومنها حفظ صفاتها وبالتالي ضمان وصول معاني ألفاظ القرآن الكريم بضبط حروفه عبر الأزمنة السابقة.

المبحث الرابع:

دور القرآن في حفظ اللغة العربية والترتيل

قد نال علم الأصوات ومخارج الحروف اهتماماً كبيراً من العلماء كونه مرتبط بنطق القرآن الكريم، ومعظم كتب التجويد تُعنى بآلية نطق الحروف وإخراجها بدقة ومنحها حقها وسمات كل واحدة منها. ومنذ عهد الفراهيدي توفي سنة (١تم ضبط علم الأصوات ومنحه الضوابط التي يرتكز عليها، واللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات في مخارج حروفها وصفاتها الممنوحة لكل حرف.

والقرآن الكريم نزل باللغة العربية حتى لا يتم قراءته بلهجات ولغات أخرى، حيث كان للقرآن الكريم فضل كبير على اللغة العربية، فتمكَّن القرآن من حفظ اللغة العربية وحمايتها من الزوال، فهنالك العديد من اللغات التي اندثرت لأنها لم تجد من يحميها من الزوال [٣٥]، وما دام القرآن الكريم محفوظاً مدى الحياة فإنَّ اللغة العربية ستبقى محفوظة من الزوال كذلك.

وقد عُرف القرآن بهذه اللفظة كونه متلواً باللسان، كما عرف باسم (الكتاب) كونه مدوّناً في الصحف، وقد سخّر الله حراساً لحفظ كتابه الكريم، والذي يعتبر أساساً حفظ أحرف اللغة العربية، فترتيل القرآن لا يكون إلا بالتقيد بالضوابط التي وضعها المقرئون والعلماء السابقون.

فلا يعتمد على حفظ القراء إلا في حال انسجامهم مع ما وصل في الرسم العثماني الذي تم تجميعه من أصحاب الرسول ﷺ والذي تم نقله جيل بعد جيل لنا، وفي المقابل لا يعتمد على تدوينات العلماء إلا في حال موافقته لما هو عند الحفاظ في الإسناد الصحيح المنقول تواتراً إلينا[٣٦]. ومن دلائل حفظ الله للقرآن الكريم هو كثرة النسخ المتوفرة عبر العصور وفي الوقت الحالي، وانتشار حروفه وآياته في لوحات فنية سطرها الخطاطون العرب.

ويعتبر الحرف هو أصغر وحدة بنائية في (القرآن الكريم)، لذا تم إيلاء اهتمام كبير في ضبط مخارج الحروف، وحفظ كيفية نطق كل حرف من أحرف اللغة العربية التسعة وعشرين، سواء أكان مفرداً أو مقترناً في حرف لاحق كما كانت العرب ترتله وقت نزوله، وتدريبهم المستمر على تلاوته وتكراره لضمان استمرار قراءته كما وردنا منذ عهد الرسول ﷺ، وعلى الرغم من تعدد اللهجات التي مرت بها قراءة القرآن، إلا أن الله أنزله بلسان عربي، مما يؤكد فضل القرآن على اللغة العربية وحروفها، فقد حفظ هذه اللغة من الضياع والاندثار بحفظه لكتابه العظيم.

وكان لعلم التجويد الدور البارز في حفظ النطق السليم لآيات القرآن بدراسته لأسلوب نطق كل حرف ومخارجه وطول ونغمة الصوت المرافقة في لفظة كل حرف من آياته، لضمان عدم اختلاف نطق حروف القرآن عما ورد في زمن رسولنا الكريم ﷺ وتنفيذاً لأمر الله جلّ جلاله في آيته: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨].

وقد برز اهتمام العلماء بالحروف العربية في القرن الأول الهجري نظراً لتنبههم بزيادة الخطأ في نطق حروف القرآن بالشكل الصحيح خاصة بعد بدء دخول غير العرب في الإسلام واختلاف قراءتهم نظراً لبعدها عن لغتهم الأصلية.

فقد عمد علماء القرآن واللغة إلى دراسة حروف اللغة العربية، واتضح لهم تصنيف هذه الحروف إلى حروف أصلية وهي تسعة وعشرين حرفاً، والذي عُدّ أحد أهم المباحث اللغوية آنذاك، فبمقارنة عددها مع الحروف الأبجدية العربية والتي بلغت ثمانية وعشرون حرفاً إلى وجود حرف زائد عن الحروف الأبجدية التي تم جمعها المشارقة في مقطع (أبجد هوّز حُطّي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) هي الحروف التي كانت العرب تكتبها، فاتضح أن الحرف غير مكتوب لدى العرب القدامى هو (الهمزة) والذي كان يستعار عنه بحرف الألف، حتى جاء الفراهيدي ورسم الهمزة على شكل رأس العين (ء) [٣٧]نظراً لاقتناعه بأن حرف العين هو أقرب الحروف للهمزة[٣٨].

(٢) سراج الباحثين، كوثر الخولي (٥١٦/١).
(١) مثل اللغة اللاتينية.
(٢) السلسبيل الشافي في أحكام التجويد الوافي، الباب الثالث والعشرون (ص٧٧).
كتاب العين لخليل الفراهيدي (١)
(٢) حلية التلاوة في تجويد القرآن، رحاب محمد الشقيقي (ص٧٥).

ومن ثم تتالت جهود العلماء في تفصيل حروف اللغة في القراءة، فكان للإمام نصر بن عاصم [٣٩] الدور الملحوظ في نقط الحروف العربية وترتيبها وتمييزها، فهو أول من وضع النقط على حرفي الياء والتاء لتمييز كل منها وتلا ذلك تمييز كافة الأحرف المتشابهة بالنقط[٤٠].

وقد تم تمييز نقط هذه الحروف عن تنقيط أبي الأسود [٤١] الإعرابية بتفريق لونها إذ جعلت النقاط باللون الأسود، بينما نقط أبي الأسود كانت بالون الأحمر.

وقد اهتم العديد من أهل العلم اللاحقين بحروف اللغة بقوالبها اللفظية والسمعية والتدوينية لما لها من دور هام في ضبط تجويد الحروف وخارجها وبالتالي ضبط تلاوة وترتيل القرآن وضبط وصول معانيه.

ومنها فيمكن تلخيص أهمية حروف اللغة العربية في الترتيل بأن إتقان قراءة الحروف بصفاتها ومخارجها يعني إتقان وصحة ترتيل آيات القرآن، وبالتالي سلامة وصوله للمتلقي وصحة وصول معانيه، وتعلم الحرف العربي يعتبر أساس تعلم علم التجويد والترتيل، ولكل حرف من حروف الهجاء اسم ولقب وصفة ومخرج لضمان نطقها بالشكل السليم.

الخاتمة:

أهم نتائج البحث:

أولاً: من دلالات حفظ الله لكتابه الكريم هي قيام العديد من علماء اللغة والتجويد بدراسة وتتبع حروف اللغة العربية الفصحى ودراستها وتدوينها حرفاً حرفاً مع تفصيل مخارجها لضمان حفظها على مر العصور.

ثانياً: أبرز النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة هي أن الترتيل القرآني هو أساس حفظ اللغة العربية بحروفها وصفاتها ومخارجها، وبأنها أساس تحقيق التلاوة السليمة.

أهم التوصيات:

يوصي الباحث بضرورة إجراء دراسات مشابهة للدراسة الحالية بإمكانية التركيز على الناحية الصوتية للحرف العربي نظراً لقلة الدراسات المتعمقة في هذا المجال، إضافةً إلى تصوُّره بضرورة الأخذ بالترتيل وضوابطه للبعد عن كافة عيوب النقط ولاستمرار حفظ الحرف العربي من التشتت والضياع.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي: عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

أسباب حدوث الحروف: علي الحسين ابن سينا، تحقيق: محب الدين الخطيب والطيب البكوش، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، تونس، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).

الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة (١٩٧٩م).

البيان المفيد في علم التجويد: أماني محمد عاشور، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة (٢٠٠٨م).

تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).

التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

تفسير ابن كثير فضائل القرآن: الحافظ أبو الفداء إسماعيل، تحقيق: د. محمد البنا، جمعية القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).

تهذيب الكمال: الحافظ جمال الدين أبو الحجاج المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة (١٣٨٧هـ).

حلية التلاوة: رحاب محمد مفيد الشقفي، السعودية، جدة، الطبعة الثانية (٢٠٠٨م).

الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، سلسلة علوم القراءات (٥): غانم قدوري الحمد، الطبعة الثانية (٢٠٠٣م).

دروس في ترتيل القرآن الكريم: فائز عبد القادر شيخ الزور، مطابع مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، قطر، الطبعة التاسعة (١٩٩٦م).

الروضة الندية في شرح الجزرية: محمود محمد عبد المنعم المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى سنة (١٤٤٢ه – ٢٠٠١م)

سراج الباحثين عن منتهى الإتقان في تجويد القرآن: كوثر الخولي، مطبعة الخط الذهبي، بورسعيد، الطبعة الحادية

(٣) هو نصر بن عاصم بن عمرو بن خالد بن حرام بن أسعد بن وديعة بن مالك بن قيس بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة من قبيلة كنانة كان فقيها فصيحاً عالماً بالعربية، من تلامذة أبي الأسود الدؤلي الكناني ت سنة (٩٠) هـ غاية النهاية لابن الجزري (٢/٤٤٥)

(٤) المحكم في نقط المصحف، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ص٢).
أبو الأسود ظالم بن عمرو بن غاية النهاية لابن الجزري (١/٤٨٤)
(٥)سفيان أبو الأسود الدؤلي توفي بالصبرة سنة (٩٩) هـ

عشر (٢٠٠٩م).
السلسبيل الشافي في أحكام التجويد الوافي: عثمان سليمان مراد، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة (١٩٨٩م).
غاية النهاية في طبقات القراء: لشمس الدين الخير محمد بن محمد ابن الجزري تحقيق الدكتور: علي محمد عمر، مكتبة الخاجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٣١ه – ٢٠١٠م.
كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب ومراجعة: داوود سلوم، وداوود سليمان العبنكي، وإنعام داوود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٤م).
الكشف والبيان: أبو إسحاق أحمد الثعلبي، تحقيق: أبو محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين البرهان فوري، ضبط: بكري حياني، تصحيح: صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة (١٩٨٥م).
لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، (ب. ت).
محاضرات مسموعة تدرس في مراكز تابعة لجمعية المحافظة على القرآن الكريم: هيفاء محمود توفيق منصور.
المحكم في نقط المصحف: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ).
مختصر سنن أبي داوود: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة الملك خالد رحمه الله، مكتبة السنة المحمدية.
المرشد في علم التجويد: زيدان العقرباوي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).
المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية في القاهرة، القاهرة (١٩٦٠م).
مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).
مفردات الفاظ القرآن: لراغب الأصفهاني تحقيق الدكتور: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق الطبعة الرابعة ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩ م.
مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، المتوفى (١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
المنح الإلهية في شرح مقدمة الجزرية: هانئ بن محمد القاضي أبو عبد الرحمن، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، مصر، القاهرة (ب.ت).
الموضح في التجويد: عبد الوهاب بن محمد القرطبي، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).
النشر في القراءات العشر: الحافظ ابن محمد الدمشقي (الشهير بابن الجزري)، أشرف على تصحيحه الأستاذ الجليل: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، القاهرة.
هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري: عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، (ب.ت).
هذا القرآن: صلاح الخالدي، دار المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى (١٩٩٣م).
وفيات الأعيان: أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.